المستغربون

(مهداة إلى الأستاذ عباس خضر)

للاستاذ علي محمد سرطاوي

الاستغراب كالاستشراق ، حذوك النعل بالنعل — إذا جاز هذا التعبير — هو الهيام بالغرب والوله في حبه وكل ما يصدر عنه من خير وشر وأوهام وأباطيل .

والمستشرقون خول من أبناء الغرب ، بسقوا من جرثومة شعوب لا تزال تعز بالعظام ، وتعيش على أمجاد التاريخ ، وتدور حول حقائق الحياة ، وتدبر من النور وتقبل على الظلام ، وتنفو في وادي الأحلام .

وهؤلاء ليسوا إلا أفراداً تميزوا من القطيع الذي لا يزال في مستوى الحيوان يرعى العشب ويرضى بالهوان ويقيم على الضيم كالأذلين : عير الحي والوتد .

والذكاء على قلة عند الفقراء ، والثراء على كثرة عند الأغنياء ، هما اللذان دفعا بعض الشرقيين إلى حضارة الغرب يتلمذون عليه في دراسات لا تزيد على بضع سنوات ، كان بعضها خالصاً لوجه العلم بالنسبة للذين كان يصرفهم عن العبث نقص جسدي في العينين أو مادي في الجيب ، وبعضها كان ريثاً في العلم بالنسبة لذين آتاهم الله بسطة في الجسم وسخاء في الإنفاق ، ومصدراً لا ينضب له معين من النضار .

هذه السنوات لم تصنع المعجزة في أولئك الرواد المستغربين في الشرق ، أو الغربان التي تتمنى — على أصح تعبير — وكل ما في الأمر أنها صبغت ظواهرهم بطلاء براق من الألقاب العلمية ولم تنفذ إلى جوهر الروح الذي بقي مربوطاً بالأمة التي لا يزال مجموعها يعيش في الجهل ، وبالأسرة التي لا تزال على غرار أسرة الإنسان الأول في طفولة الحياة البشرية .

ولا نستطيع أن ننكر منقولنا ونسلم جدلا بأن هؤلاء قد أصبحوا — على سوء الجيرة — كالغربيين روحاً وذوقاً وفناً ، وإنما كل ما في الأمر — وهو الصحيح والواقع — أن حضارة الغرب قد بهرتهم ماديتها ولم يفهموها فهماً صحيحاً ، وفي محاولتهم تجريح الشرق بأظافر مستعارة من روح الغرب ، البرهان الذي لا يقبل الجدل على أنهم يشعرون بذلك في أعماق نفوسهم ويحاولون التضليل .

ولم يكن كل ما قدمه المستشرقون من الدراسات المضنية التي وقفوا حياتهم عليها خالصاً لوجه العلم ؛ بل إنما كان في كثير من الأحايين ضرباً شاقاً من الخدمة الاجتماعية يؤديه المستشرق لأمته في هذا الميدان الذي يحطم الأعصاب ، ولا يصمد فيه غير الأبطال والجبارين الوهوبين .

والمستغربون عندنا نكرات اجتماعية بسقوا من جرثومة شعوب لا تزال تعز بالعظام ، وتعيش على أمجاد التاريخ ، وتدور حول حقائق الحياة ، وتدبر من النور وتقبل على الظلام ، وتنفو في وادي الأحلام .

وهؤلاء ليسوا إلا أفراداً تميزوا من القطيع الذي لا يزال في مستوى الحيوان يرعى العشب ويرضى بالهوان ويقيم على الضيم كالأذلين : عير الحي والوتد .

والذكاء على قلة عند الفقراء ، والثراء على كثرة عند الأغنياء ، هما اللذان دفعا بعض الشرقيين إلى حضارة الغرب يتلمذون عليه في دراسات لا تزيد على بضع سنوات ، كان بعضها خالصاً لوجه العلم بالنسبة للذين كان يصرفهم عن العبث نقص جسدي في العينين أو مادي في الجيب ، وبعضها كان ريثاً في العلم بالنسبة لذين آتاهم الله بسطة في الجسم وسخاء في الإنفاق ، ومصدراً لا ينضب له معين من النضار .

هذه السنوات لم تصنع المعجزة في أولئك الرواد المستغربين في الشرق ، أو الغربان التي تتمنى — على أصح تعبير — وكل ما في الأمر أنها صبغت ظواهرهم بطلاء براق من الألقاب العلمية ولم تنفذ إلى جوهر الروح الذي بقي مربوطاً بالأمة التي لا يزال مجموعها يعيش في الجهل ، وبالأسرة التي لا تزال على غرار أسرة الإنسان الأول في طفولة الحياة البشرية .

ولا نستطيع أن ننكر منقولنا ونسلم جدلا بأن هؤلاء قد أصبحوا — على سوء الجيرة — كالغربيين روحاً وذوقاً وفناً ، وإنما كل ما في الأمر — وهو الصحيح والواقع — أن حضارة الغرب قد بهرتهم ماديتها ولم يفهموها فهماً صحيحاً ، وفي محاولتهم تجريح الشرق بأظافر مستعارة من روح الغرب ، البرهان الذي لا يقبل الجدل على أنهم يشعرون بذلك في أعماق نفوسهم ويحاولون التضليل .

ويسهو عن كثير من تبعاته .

وأرى الولد يقسو على والديه ، ويلقى بالنظرة أبويه ، ويطلب بحقه ويحاسب عليه ، ويعصى الوالدين أحياناً ويطيعهما أحياناً .

إني أرى صلة ما بين الوالدين والأولاد تهين ، وسلطان الوالدين على الأولاد يضعف ، وأخشى إن لم نتدارك الأمور أن تزلزل أركان الأسرة ، وتتقطع وشائجها ، ويتبدد نظامها ... وكيف تقوم الأمة على قواعد واهية وأوكان متداعية ؟ !

إني أخاف على الأسرة ، وأشفق على البيت — الجنة والمبد والمدرسة — أن يُستباح حماه ، وتدخل الفتن إلى مثناه ... والمرأة وقاية من هذا الشر ، وطب لهذا الداء ، وشفاء لهذه العلة ...

وللمرأة حديثنا الآتي إن شاء الله .

(الكلام بقية) عبد الوهاب عزام

والبيئة الجغرافية تترك أثراً عميقاً من سماتها في الأخلاق والدين والفن والذوق والاجتماع في الجماعات التي تعيش فيها وتطبعها بطابع خاص لا تجد سبيلا إلى الخلاص منه مهما أوتيت من عزيمة وجبروت .

ولو أنك غرست شجرة من مناطق خط الاستواء في غير تربتها ومناخها ، وحاولت كل طريقة لاستدامة روعتها ورونقها ولذة فاكهتها ، لما وجدت إلى ذلك سبيلا .

والأفكار المستوردة من بيئات بعيدة لا تستطيع الحياة في مناخ غير مناخها ، وفي تربة غير تربتها ، وغالباً ما يكون نصيبها الموت .

أرأيت نتيجة تلك المحاولة التي قام بها ملك من الشرق لينقل حضارة الغرب إلى بلاده عن طريق اللباس في بلاد الأفغان ، وهي على بعد سحيق من أوروبا ، غير مقدر النتائج الخطيرة التي آلت إليها ، وغير مفرق بين موضع تركيا الجغرافي والفارق البعيد بين الأتراك والأفغان ؟

وأولئك المربين المستغربين الذين يغيرون على أفكار أساطين التربية في الغرب — تلك الآراء التي ترعرعت ونشبت في جو ملائم وبيئة جغرافية خاصة — فيملأون بها المجلدات نقلا حرفياً وتقليداً وتشويهاً ومسخاً للعمل بها في بيئات وشعوب لا صلة لها بالشعوب التي انتزعت من حياتها تلك الأفكار . أليس مثلهم مثل الطبيب الذي يأتيه المريض وقد هد جسمه الداء فلا يتأصل شافة المرض ، وإنما يصبغ وجه المريض باللون الأحمر ، وكفى الله المؤمنين القتال ؟

والنكسات الروحية والخلقية والقومية التي تصاب بها الأمم والشعوب من حين إلى آخر في سير الزمن لا تمس جوهر الروح في تلك الأمم والشعوب ، بل لعلها تجدد شبابها وتخلع عليها أبراداً قشيبة من اليقظة فتفيق من سباتها وتعاود السير من جديد ، مزيزة الجانب ، قوية الخلق ، متحدة كالبنيان المرصوص .

والكسب المادي ، والأشخاص الذين حرمهم الله نعمة الذوق الذي لا تصله الكتب والجامعات ، والذين في نفوسهم مرض — كل ذلك وهؤلاء لا يزيدون في نظر الواقع على غبار تثيره أقدام الأمة في مسالك الحياة وهي سائرة إلى غايتها البعيدة .

ولعل شر فئة من هؤلاء المستغربين تلك الفئة الخاملة الجاهلة التي تعيش في الحياة كالنباتات الطفيلية على أفكار غيرها من مرضى الضمائر ومعتلي النفوس ، فقد يضمك مجلس مع جماعة فينبري منها من يكيل الثناء لشكسبير لأنه غربي ، ويطعن في المتنبي لأنه شرقي ، حتى إذا حز في نفسك هذا المسلك وطلبت منه تحديد النقد وتقديم الأمثلة ، تكشف لك عن عامية مغرقة في الجهل ، لأنه لم يقرأ للمتنبي ، ولم يعرف لغة شكسبير ، وإنما كل ما في الأمر أنه يقلد التقليد الأعمى ليضاف إلى قائمة أصحاب الرأي الحر الذين يهدمون بيوتهم ليبنوا من حجارتها بيوتاً للآخرين .

وفي كل قطر عربي مجموعة من هؤلاء المستغربين يحملون الأجازات الدراسية العالية وقد مكنت لهم تلك الدراسات من الجلوس على القاعد الأمامية في رواية الحياة وتوجيه الأجيال المقبلة التي تضع الأمة العربية آمالها وأحلامها فيها .

ومن رعاية الله لهذه الأمة أن جعل في جذورها الفتية التي تستمد حياتها إلى الغد المجهول قوة شديدة تقاوم تلك الرياح اللافحة ، وجعل في كيانه جنوداً يذودون عن المجد التليد والدين الحنيف والتاريخ الشرق ، ولا تأخذهم في الحق لومة لائم ، ومكن « لرسالته » في النفوس .

(العراق) علي محمد سرطاوي
مدرس في متوسطة الشيب

وزارة الحربية والبحرية

تقبل عطاءات بديوان الوزارة لغاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١١ يونيه سنة ١٩٤٩ عن توريد الفريس اللازم للجيش والمصالح الأخرى في عام ١٩٤٩ / ٥٠ وتطلب الشروط من إدارة العقود والمشتريات بالوزارة على ورقة دمغة فئة ثلاثين مليما وثمن النسخة ٢٥٠ مليما وأجرة البريد أربعون مليما .

١٩١٣